دور الترجمة الفلسفية في إثراء الحوار بين الثقافات

أ.بن مختاري هشام
جامعة بجاية - الجزائر

الملخص:

مما لا شك فيه أن الترجمة تشكل جسرا ثقافيا و حضاريا بين الأمم و الحضارات ،فقد كانت و لا تزال ناقلا أساسيا للمعارف و العلوم من ضفة لأخري و من حقبة لأخري ،ومنفذا لمعرفة الذات و الأخر،فلولا حركة الترجمة لما ازدهرت الأمم و لا قامت الحضارات .ولم تشدّ الترجمة في حقل الفلسفة عن هذا الدور المحوري ،بل ساهمت في نقل التراث الفلسفي و الحضاري من لغات الفرس و الهند و اليونان إلى العربية ،مما أثري الرصيد المعرفي العربي و ساهم في نهوض الحضارة العربية الإسلامية و ازدهارها، و كذلك حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية التي كانت أساسا لبناء الحضارة الغربية الحديثة .وهذا ما يمثل حوارا بين الثقافات و الحضارات تكون فيه الترجمة حجر الاساس.

الكلمات المفتاحية: الترجمة ، الترجمة الفلسفية ، حوار الثقافات ، حوار الحضارات .

Summary

There is no doubt that translation is a cultural bridge between nations and civilizations. It was and still a basic vector of knowledge and science from another era, and an outlet for self-knowledge and the other. The translation contributed to the transmission of the philosophical and civilizational heritage of the Persian, Indian and Greek languages into Arabic, which enriched the Arab knowledge and contributed to the rise and flourishing of Arab Islamic civilization, The translation from Arabic to Latin was the basis for the

construction of modern Western civilization ,this is a dialogue between cultures and civilizations in which translation is the cornerstone.

تقديم:

قبل الخوض في نقاط هذا العرض بالشرح و التفصيل، كان لزاما علينا ضبط أهمّ المفاهيم المعالجة ووضعها في الإطار العامّ للموضوع المعالج . ولعلّ أهمّها : "الترجمة" ، "الفلسفة" و "الثقافة" .

- ما الفلسفة ؟

ارتبط مفهوم الفلسفة عند العامّة بالتّعقيد بل يراها البعض أمرا لانفع فيه و أنّها وقف على فئة قليلة من الناس، لا تخرج عن نطاقهم وهو بلا شكّ مفهوم خاطئ، فالفلسفة بمعناها العام نشاط بشريّ عامّ ، يمارسه الجميع بوعي أو بدون وعي ، و لاحظ ذلك شيخ فلاسفة اليونان أرسطو (374-322 ق.م)، بحيث يقول : "...فإننا سواء إذا أردنا أن نتفلسف أم لم نرد لا بدّ لنا جميعا من التّفلسف..."، إنّنا نجد الفلسفة في كلّ زمان ومكان ملتصقة بالفكر البشري مندسّة في ثنايا كلّ ما ينتجه العقل البشري من أدب و فنّ و علم فهي بحقّ أمّ العلوم فالفلسفة في إطار بحثنا هذا نعني بها ذلك النشاط البشري العامّ (1) .

ما الثقافة ؟

الثقافة كلمة عربية في العريّة تعني صقل النّفس و المنطق و الفطنة ، استعملت في العصر الحديث للدلالة على الرقيّ الفكري و الأدبيّ و الاجتماعي للفرد أو الجماعة . فهي مجموع الأفكار و طريقة السّلك . وهي السّمات و القيم و السلوكيات التي تميّز فردا أو جماعة ما "...إنّ الثقافة في مدلولها الواسع هي تلك القيم و الإشارات التي تلعب دور الوسيط بين عالم المجرّد و الملموس ... هي العادات الثقافيّة (الإنسانيات) و الأسطورة و الأدب و الدّين، و القيم الإنسانيّة و الاعتقادات و جلّ أشكال التّرفيه..." (2) .

فالثقافة هي نمط متكامل من المعرفة البشريّة و الاعتقاد و السّلك.

ما الترجمة ؟

"... الترجمة لغة التفسير و البيان ، ويقال ترجم له الأمر أي وضح..."(3).

و ليست الترجمة مجرد نقل آلي لوحداث نصّ ما من لغة إلى لغة أخرى كما يتصور البعض بل هي أداة تواصل ثقافيّ ، فمن خلال عملية الترجمة يتمّ محاولة إيجاد مكافئ للنصّ الأصل في النصّ الهدف يكون معيار التكافؤ نقل المعنى . "...وصفوة القول أنّ العملية التّرجميّة تستوجب ترجمة مباشرة (اقتباس ، استعارة ، ترجمة حرفيّة) أو غير مباشرة (تبديل و تكافؤ، تكييف) حسب الاقتضاء لتحقيق تطابق إلى أقصى حدّ ممكن بين النصّين..."(4)

فالترجمة هي نقل نصّ ،نقل ألفاظه و ثقافته وروحه من لغة إلى لغة أخرى .

1- في الترجمة الفلسفيّة :

الترجمة الفلسفيّة، ترجمة تخصّصيّة، تعنى بترجمة النصوص الفلسفيّة التي تحمل شحنة معرفيّة و أسلوبيا متميّا يقتضي نوعا خاصّا من الترجمة.

وقد ظهر حديث اهتمام بالغ بالترجمة في حقل الدّراسات الفلسفيّة و حتّى على مستوى الجامعات أصبح لمقياس الترجمة الفلسفيّة وجود مهمّ في أقسام الفلسفة ذلك أنّ الفلسفة يونانيّة المنشأ وّلا و ثانيا كون الدّراسات الفلسفيّة الحديثة تكتب جّلها بلغات أجنبيّة و جب نقلها إلى العربيّة عبر الترجمة .

أمّا من حيث تقنيّاتها و أساليبها فهي لا تختلف كثيرا عن تقنيات الترجمة العامّة من اقتباس، و اقتراض، و ترجمة حرفيّة إلى التبديل و التكييف و التكافؤ ولعلّ أكثر تقنيّة يغلب استعمالها في مجال الترجمة الفلسفيّة هي تقنيّة التكييف (Adaptation) وهو "...تقريب الواقع ومقتضيات الحال التي تختلف باختلاف الثقافات و التقاليد و الأعراف..."(5) .

إنّ صعوبة النصّ الفلسفي و الإشكالات التي قد يطرحها على المستوى المصطلحاتي و الأسلوبية يقتضي من المترجم فهما للنصّ الهدف و تفكيك شفرته حتّى يكون قادرا على إعادة صياغته في النصّ الهدف .

ولطالما كان السؤال : من يترجم الفلسفة ؟ سؤالاً جدلياً بين من يقول أنّ المترجم قادر على ترجمة نصّ فلسفي حتّى إن لم يكن فيلسوفاً ومن يقول أنّ النصّ الفلسفي يتطلّب مترجماً فيلسوفاً حتّى يستطيع نقل النصّ بنجاح وكفاءة .

2- في حوار الثقافة :

سبق وأن قدّمنا مفهوم الثقافة ، ونحن بصدد الحديث عن حوار الثقافات ، ولم يخلو هذا الموضوع من الجدل والنقاش في تاريخ البشرية تميل لتفضيل وتقديم النفس على الآخر فكلّ فرد وجماعة تعتقد أنّ لغتها وثقافتها هي الأرقى والأعرق ولكن طبيعة الكون ونواميسه تقتضي أن نتعاش رغم اختلافاتنا يقول تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا " (6)، فالتعارف والتعاش سبب من أسباب الوجود ، وللتعاش مع الآخر وجب علينا فهم طريقة تفكيره وذلك عبر محاورته حواراً هادئاً وذا معزى. ولكن الحوار والتعاش لا ينفي الخصوصية وإذا أفضى الحوار إلى تغلب طرف على آخر وذوبان ثقافة في أخرى يصبح هيمنة ثقافية .

إنّ حوار الثقافات لا يجب أن يقبع في إطار المجرد والكلمات فقط ، بل هدفه الأساس تجنّب الصراعات والحروب والانقسامات والنزاعات على أساس طائفي أو مذهبي أو عرقي وهي مشاكل لا تزال موجودة بقوة في عالمنا المعاصر . وبين صراع الثقافات الذي يمثّل واقع الحال في الكثير من المواقع وحوار الثقافات الذي تأمله ونسعى إليه فجوة كبيرة وجب معالجتها .

إنّ حوار الثقافات ليس كلمات تكتب، أو خطاب تلقي وإمّا واقع وجهود تبذل لنجعل الثقافات تتجاوز بحقّ ويكون الاختلاف رحمة ونعمة لا نقمة ولعلّ الترجمة من أهمّ وسائل التواصل الثقافي بين الأمم.

3- الترجمة أداة حوار ثقافي :

كما أوردنا سابقاً مفهوم الترجمة عموماً و الترجمة الفلسفية خصوصاً، فإنّ الترجمة الفلسفية تسهم بشكل مباشر وغير مباشر في الحوار الثقافي والحضاري بين الأمم فالأوروبي تواصل قديماً ويتواصل حديثاً مع العربي بواسطة الترجمة. وما نهضة أوروبا الحديثة إلاّ بتأثير مباشر من الترجمات

من العربية فبالإضافة إلى ترجمة العلوم كان لترجمة الثقافة العربية نصيبا كبيرا من خلال ترجمة أعمال لأدباء ومفكرين عرب.

ولعلّ ترجمات الغرب للفلسفة العربية من خلال كتب "ابن رشد" مثلا كان له تأثير على الفلسفة و الثقافة الغربية ، فالترجمة ساهمت في التقريب و الحوار بين ثلاثة ثقافات (يونانية ،عربية ، أوروبية) ، فالمعروف أنّ العرب عمدوا إلى ترجمة جلّ التراث الفلسفي اليونانيّ و نهلوا منه الكثير.

فاطّلوا على الثقافة اليونانية فكان ذلك بحقّ أمرا ايجابيا ساعد تشكيل الوعي الثقافيّ عند العرب فالترجمة إذا تمّت من العربية و إلى العربية ممّا خلق تواصلًا ثقافيا و أداة حوار فعّالة و كانت ترجمة العربي للفلسفة متدرجة تطورت مع تطور الفكر الإسلامي من جهة ، و علم الترجمة و تقنياتها من جهة أخرى، و يمكن إجمال هذه المراحل كآآتي (7):

-طور ابتدائيّ النقل أو "النقل الإبتدائي":

كانت الترجمة مضطربة نوعا ما و حتى غامضة أحيانا و يرجع ذلك لحديث العرب بالترجمة وقت ذاك، كما تعددت مرجعيات المترجمين و مذاهبهم و نفخوا في ترجماتهم آراءهم الذاتية . و مع كل هذا توافرت ترجمات مقبولة على قلبها، و عموما كان أمر الترجمة بيد المترجم وحده، كفاءتها من كفاءته .

-طور استصلاح النقل :

و فيها مراجعة و تنقيح و تدبر في طرق الترجمة و آليات إيصال المعنى ، و لعل حنين بن إسحاق" مترجم عصره السابق إلى إستصلاح النقل فكانت بحق مرحلة تشكّل فيها وعي سياسي فكري بأهمية الترجمة و بدأ التفكير في تنظيمها، و كان "بيت الحكمة" مسك ختام هذه الجهود و مؤسسة رسمية تعنى بالترجمة، ذاع صيتها وقت ذاك في كلّ الأصقاع فكانت وسيطا بين الثقافات .

-طور استئناف النقل :

بدأ في القرن العشرين و يمتد إلى يومنا هذا و بعد أن كان المعلم الأول "أرسطو"، أصبح الفيلسوف "ديكارت"، ملهم المحدثين، فترجموا له الكثير مما أكسبهم رصيّد اصطلاحيا متخصصا و

أصبح للترجمة إجراءات علمية يتبعها المترجم ليصل لترجمة مكافئة للنص الأصلي ولاشك أن هذا أثر إيجاباً على ترجمة العرب للفلسفة الغربية الحديثة.

و كاستشهاد تاريخي على تأثير الترجمة في التواصل و الحوار ثقافي و الفلسفي بين العرب و الغرب، تأتي حالة ابن رشد، (1126-1198) فيلسوف عصره - و الذي يعد بحق حالة فريدة من بعد الفارابي (ت 950) و ابن سينا (ت 1097) و الغزالي (ت 1111) - الذي لم يطلع مباشرة على كتب "أرسطو" بل وصلته مترجمة و هنا المفارقة المدهشة فقد وصل ارث اليوناني إلى العربي مترجم ووصل إرث العربي للغرب مترجم و هل للترجمة ممن مزية أكبر من هذه، فالترجمة نشرت كل من "أرسطو" فيلسوف عصره و "ابن رشد" فيلسوف عصره و هذين مثالين لا يخلوا التاريخ من غيرهما.

و لقد وصلت "ابن رشد" ترجمة "أرسطو" غير واضحة و غامضة أحيانا لأن " المترجمين لم يكونوا حكما و لا فلاسفة و بذلك تعذر عليهم فهم "ارسطو" (8) فترجموا له عن جهل فجاءت عبقرية "ابن رشد" فنقح و عدل بعلبه الواسع و في الجهة المقابلة ترجم الغرب أعمال ابن رشد إلى اللاتينية فعرفوا و أدركوا فكر أرسطو عبر هذه الترجمات و"أجل الغربيون "ابن رشد" إلى حد أن "دائتيه" (1256-1321) صنفه مع الكبراء " (09). فالاحتكاك بالفكر الفلسفي سواء اليوناني منه أو الغربي حدث عبر الترجمة .

ولا يؤمن البعض بأهمية الترجمة كوسيط ثقافي بل يتهمها بتضييع المعنى و الخيانة لازمت الترجمة منذ أن بدأت وخاصة الترجمة الفلسفية لشديد خصوصيتنا حيث يقول "إرنست رينان" "...المنشور من أعمال ابن رشد لا يقدم سوى ترجمة لاتينية لترجمة عربية لشرح ترجمة عربية سريرية لنص يوناني ؟ فكيف لا تتبخر الفكرة الأصلية أثناء هذه التنقلات المكررة ..." (10) ولا ننسى بهذا الصدد إشكالية عدم قابلية الترجمة (l'intradmissibilité) التي أثارها البعض في قضية الترجمة الفلسفية .

ومهما يكن فإنه يمكن " اعتبار المنزلة التي حظيت بها الترجمة عند العرب منذ بداية التجربة الإسلامية، منزلة مشرفة . وهذه حقيقة تاريخية ... أو لم يجعل منهم التاريخ وسطاء و نقلة للتراث الإنساني الكلاسيكي و حفظته للأجيال الحديثة ..." (11)

بغض النظر عن كلّ الجدل الذي تطرحه الترجمة الفلسفية ودورها و مدى نجاحها تبقى وسيلة ضرورية و أساسية لنقل الثقافات و تحقيق التّواصل و الحوار بينها وهو دور ليس بالجديد بل إنّ هدف الترجمة الرئيس تحقيق التّواصل.

أمّا تقنيات نقل العرب للتّراث الفلسفيّ اليونانيّ فلم تخرج عن التقنيات المستعملة في الترجمة العامّة من ترجمة مباشرة و أخرى غير مباشرة، وبطبيعة الحال لم تكن ترجماتهم كاملة ذلك أنّ علم الترجمة وتخصّص الترجمة الفلسفية لم يكن موجودا كما هو عليه الآن و لكنّها في العموم أدّت المعنى وحققت هدفها الأسمى في التّواصل بين ثقافتين.

* خاتمة:

نخلص من خلال ما سبق إلى القول أنّ الترجمة الفلسفية بالرغم ممّا تطرح من إشكالات وجدل مستمر، إلاّ أنّها تمثّل وسيلة حوار واتّصال -لا غنى عنها- بين الثقافات .

وجب علينا الانتقال من الجدل حول جدوى الترجمة الفلسفية إلى جدل حول تقنياتها و أساليبها حتّى تؤدّي الغرض المنشود ذلك أنّ وجودها أصبح واقعا و ضرورة.

أو لم تكن الترجمة وسيلة سبر العرب أغوار الفلسفة و الثقافة اليونانية، هل كان فهم أن يملكونا ناصية العلوم دون أساس و تراكم معرفي إنساني ساهمت في الترجمة.

أولم تكن الترجمة وسيلة اتّصال الغرب بالعرب و أساس التّقدّم الحضاري الذي تشهد أوروبا الآن.

إنّ الترجمة الفلسفية ساهمت و لا تزال تساهم في حوار الثقافات، و سيبقى الأمر كذلك طالما وجد الإنسان ووجدت الفلسفة ووجدت الترجمة.

الهوامش:

(1) -حسام الآلوسي، مدخل إلى الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص06.

(2) -Yves Hichqno , Quest-G que la culture ?,Edition Odiles S4 colo Paris,2001,p09

- (3)- محمد الديداري، الترجمة والتعريب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص81.
- (4)- محمد الديداري . المرجع السابق، ص81.
- (5) - محمد الديداري، المرجع السابق، ص94.
- (6) - القرآن الكريم، رواية ورش سورة الحجرات الآية 13 .
- (7) - (8) - (9) ، محمد الديداري ، " مفاهيم الترجمة " ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، الطبعة الاولى، 2007، ص 41-42.
- (10) - ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، ميزونوف لارونز، ص52.
- (11) - محمد موهوب، ترجمان الفلسفة، المطبعة الوطنية مراکش ، ط1، 2011.

تاريخ الارسال: 2017-05-17

تاريخ القبول: 2018-05-16

تاريخ النشر: 2018-06-02